الدَّجَاجُ المُثَابِرُ

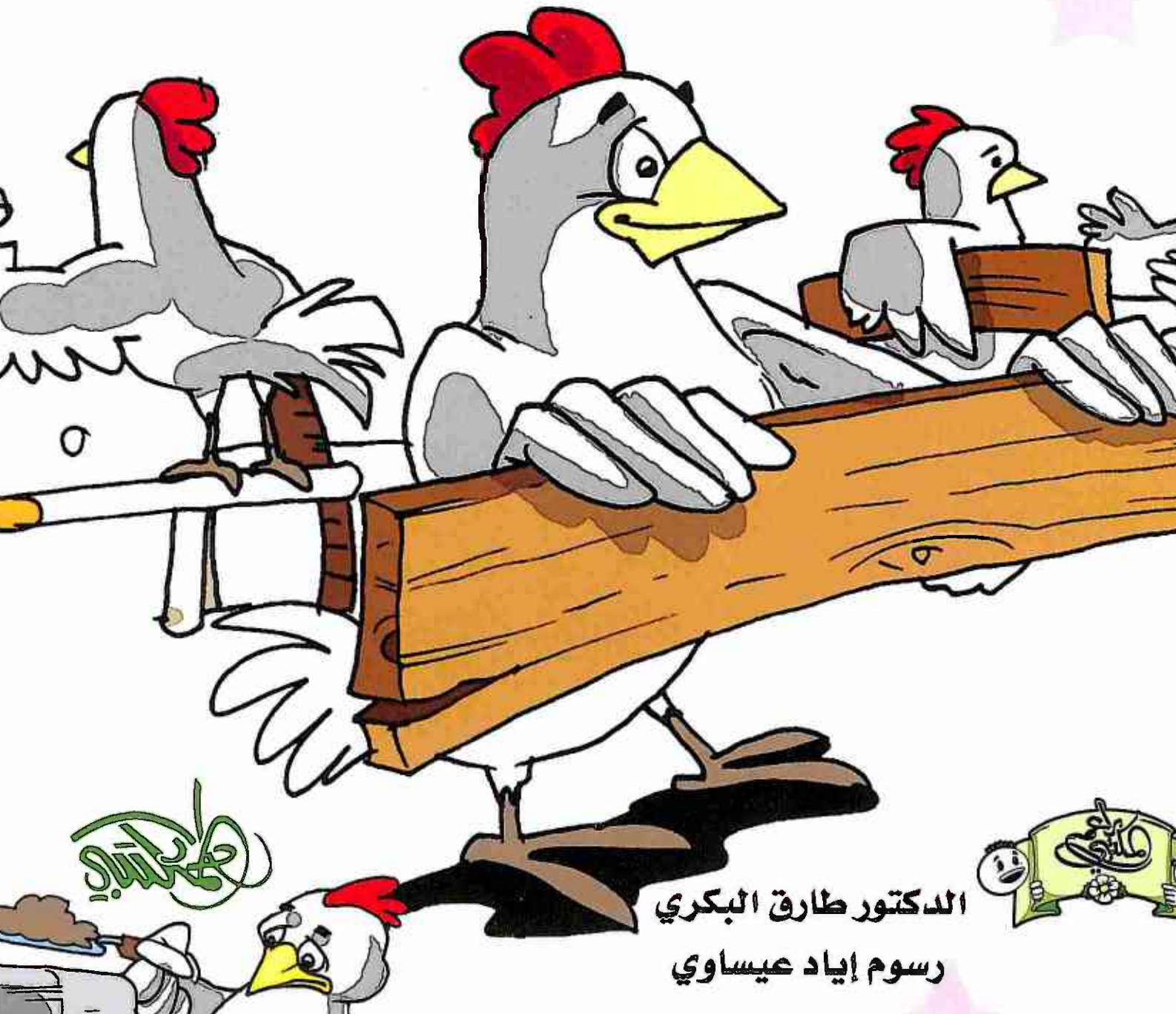

الدكتور طارق البكري

رسوم إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426

الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309

e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

الدَّجَاجُ الـمُثَابِرُ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ هُنَاكَ مَـجْمُوعَةُ دَجاجٍ [1]، تَعِيشُ فِي مَزْرَعَةٍ فَسِيحَةٍ [2] ، عِبَارَةٍ عنْ مَرْجٍ [3] أَخْضَرَ ، مَلِيءٍ بِسَنَابِلِ القَمْحِ وَالـحُبوبِ ، وَمَزْروعَاتٍ لَذِيذَةٍ طَرِيَّةٍ يُـحِبُّها الكَتاكِيْتُ [4] وَالأَكْبَرُ سِنّاً ..

وَفِي الـمَزْرَعَةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الدَّجَاجِ ، مُكَوَّنٌ مِنْ أُسَرٍ كَثِيرَةٍ ، تَعْرِفُ بَعْضَها بَعْضاً ، تَـتَعاوَنُ بِمَحَبَّةٍ وَإِخْلاصٍ ، تَتَزاوَرُ ، وَيَـحْرِصُ كُلٌّ مِنْهَا عَلَى الآخَرِ ..

مَرَّتْ سَنَواتٌ طَوِيلَةٌ وَالـجَمِيعُ يَعِيشُ فِي أَمَانٍ وَسَلامٍ ..

(1) الدَّجَاجُ كَلِمَةٌ تُفِيدُ الـمُذَكَّرَ وَالـمُؤَنَّثَ . (2) كَبِيرَةٍ .

(3) أَرْضٍ وَاسِعَةٍ ذَاتِ نَبَاتٍ وَمَرْعَى . (4) فَرْخُ الدَّجَاجِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ صِيَاحِهِ فِي سُرْعَةٍ .

لَـمْ يَكُنِ الدَّجَاجُ يَعْرِفُ الظُّلْمَ فِيمـا بَيْنَهُ ، وَلا يَعْرِفُ الـحَيْوانَاتِ الـمُفْتَرِسَةِ فِي مَزْرَعَتِهِ ، فَقَدْ كَانَ يَعِيشُ عَلَى رَبْوَةٍ[1] ، تُـحِيطُ بِـهَا وِدْيانٌ وَجِبالٌ ، كَأَنَّـهَا سِوَارٌ حَوْلَ مِعْصَمٍ أَوْ سِياجٍ يَقِيْهِ[2] مِنَ الـحَيْوانَاتِ الشَّرِسَةِ .. وَلَـمْ يَكُنْ يَأْتِي مِنْ خَارِجِ الـمَزْرَعَةِ أَحَدٌ سِوَى طُيُورٍ صَغِيرَةٍ لَطِيفَةٍ وَدِيْعَةٍ[3] ، تَشْرَبُ مَاءً مِنَ البُحَيْرَةِ وَتَأْكُلُ بَعْضَ الـحُبُوبِ ثُمَّ تَرْحَلُ ..

لَكِنَّ بَعْضَ كِبَارِ السِّنِّ مِنَ الدَّجَاجِ يَقُصُّ حِكَايَاتٍ قَدِيمَةٍ ، يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ الدَّجَاجَ أَنَّـها مِنْ نَسْجِ الـخَيالِ .. وَلَـمْ تَكُنِ الدَّجَاجَاتُ وَخُصوصَاً الصَّغِيرَاتُ مِنْها تَعْتَقِدُ بِأَنَّ هُنَاكَ مَـخلوقَاتٍ حَيَّةٍ تَأْكُلُ مَـخْلُوقَاتٍ حَيَّةً مِثْلَها ، أَوْ تُضْمِرُ الشَّرَّ لِلآخَرِيْنَ .

كَانَتْ حَياةُ الدَّجَاجِ آمِنَـةً مُطْمَئِنَّةً .. يَزْرَعُ بَسَمـاتٍ فِي دُرُوبِهِ

(1) تَلَّةٍ عَالِيَةٍ . (2) يَـحْمِيْهِ . (3) هَادِئَةٍ سَاكِنَةٍ .

كَمـا يَزْرَعُ أَنْواعاً مُتَـنَوِّعَةً مِنَ الـحُبُوبِ وَالـخُضَارِ الَّتِي يُـحِبُّها فِي بُسْتانِهِ الأَخْضَرِ ، لا يُضِيْعُ دَقِيقَةً وَاحِدَةً مِنْ وَقْتِه دُونَ عَمَلٍ .

لَـمْ يَكُنْ يُكَدِّرُ صَفْوَ عَيْشِهِ شَيءٌ .. الـمَكَانُ وَاسِعٌ رَحْبٌ ، وَالطَّبِيعَةُ لَطِيفَةٌ هَادِئَةٌ ، الطَّقْسُ مُعْتَدِلٌ مُعْظَمَ أَيَّامِ السَّنَـةِ ، الـمَـاءُ مُتَوافِرٌ طَوَالَ العَامِ ، وَالطَّعَامُ لَذِيذٌ مُتَـنَوِّعٌ .. الدَّجَاجُ يَـتَعَامَلُ فِيْمـا بَـيْنَهُ بِاحْتِرَامٍ وَحُبٍّ شَدِيدَيْنِ ، الصَّغِيرُ يُوَقِّرُ [1] الكَبِيرَ ، الكَبِيرُ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ .. لَكِنَّ الـحَيَاةَ لا تَدُومُ عَلَى حَالٍ ..

فَفِي أَحَدِ الأَصْباحِ [2] ، وَكَانَ يَظُنُّـهُ الدَّجَاجُ صَباحَ يَوْمٍ عَادِيٍّ ، لَـمْ يَتَرَقَّبْ [3] فِيْهِ سُوءاً .. اجْتاحَتْ عَاصِفَةٌ رَمْلِيَّةٌ هَوْجَاءُ [4] الـمَرْجَ الـجَمِيلَ فَجْأَةً وَدُونَ أَنْ يَظْهَرَ فِي الأُفُقِ مَا يُنْذِرُ بِالـخَطَرِ ..

(1) يُـجِلُّ ويَـحْتَرِمُ .
(2) جَـمْعُ صَبَاحٍ .
(3) يَنْـتَظِرُ .
(4) رِيحٌ هَوْجَاءُ: مُتَدَارِكَةُ الـهُبُوبِ كَأَنَّ بِـهَا هَوَجاً، أَي حُـمْقاً، طَيْشاً .

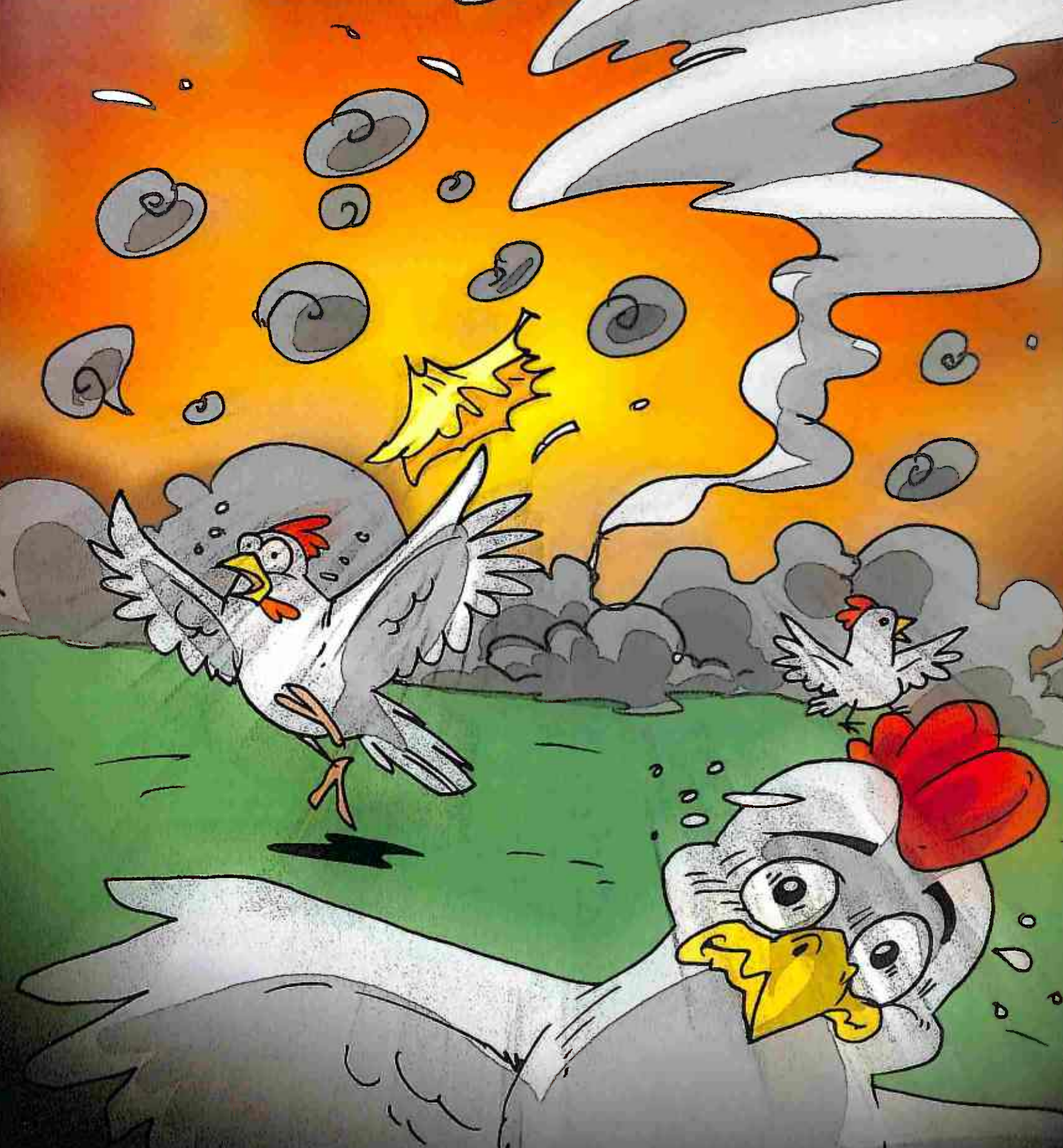

كَانَتِ العَاصِفَةُ شَدِيدَةً جِدّاً .. صارَتْ تَشْتَدُّ وَتَتَصاعَدُ .. لَمْ تَتْرُكْ شَجَرَةً صَغِيرَةً وَلا ضَعِيفَةً إِلا وَقَلَعَتْها مِنْ جُذورِهَا ، وَلا نَبْتَةً عَلَى الأَرْضِ إِلا وَغَمَرَتْها بِالرِّمَالِ ، وَطَمَرَتْ [1] بُحَيْرَةَ المَاءِ العَذْبَةِ وَحَوَّلَتْها إِلى أَوْحَالٍ .. وَحَطَّمَتْ بُيُوتَ الدَّجَاجِ كُلَّهَا ، وَلَمْ تُغَادِرِ المَكَانَ إِلا بَعْدَ أَنْ حَوَّلَتْهُ إِلى خَرَابٍ ..

الدَّجَاجُ فُوجِئَ بِالعاصِفَةِ ، لَمْ يَأْلَفْ [2] مِثْلَها مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ

يَسْتَعِدَّ بِبِنَاءِ مَخَابِئَ وَبُيُوتٍ قَوِيَّةٍ ، أَوْ حَتَّى مَخَازِنَ لِطَعَامِهِ وَحُبُوبِهِ تَحْتَ الأَرْضِ .. بَلْ كَانَ يَعِيشُ فِي بَسَاطَةٍ وَكَأَنَّ سُوءاً لَنْ يَحْدُثَ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ .. اسْتَطَاعَ مُعْظَمُ الدَّجَاجِ الاحْتِمَاءَ بِجُذُوعِ الأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ الكَبِيرَةِ القَوِيَّةِ ، الَّتِي صَمَدَتْ لِوَحْدِهَا أَمَامَ العَاصِفَةِ ، وَمَا أَنِ انْحَسَرَتِ الرِّمَالُ قَلِيلاً وَبَدَأَتِ الرُّؤْيَةُ تَتَّضِحُ ، لَمْ يَكُنِ الدَّجَاجُ حَتَّى اللَّحْظَةِ يَفْقَهُ[3] مَا حَدَثَ؟

(1) دَفَنَتْ . (2) يَعْرِفْ . (3) فَقِهَ الأَمْرَ: فَهِمَهُ بَعْدَ جَهْلٍ وَأَدْرَكَهُ بَعْدَ تَفْكِيرٍ .

كَانَ الأَمْرُ كَابُوسَاً لا يُمْكِنُ تَصْدِيقُهُ ، فَكُلُّ مَا بَناهُ فِي سِنِيْنَ طَوِيْلَةٍ ضَاعَ فِي لَـحظَاتٍ .. هَبَّ الدَّجَاجُ [1] بِجُنُونٍ يَـتَـفَقَّدُ الوَاقِـعَ الـجَدِيدَ .. يَبْحَثُ عَنْ أَقَارِبِهِ ..

كُلُّ عَائِلَةٍ مُنْهَمِكَةٌ بِالبَحْثِ عنْ أَفْرادِها ، وَبَعْدَ أَنْ تَطْمَئِنَّ بِاكْتِمـالِ عَدَدِها وَالـتَّأَكُّدِ مِنْ سَلامَةِ أَفْرادِهَا ، تَبْدَأُ بِالسُّؤالِ عَنْ جِيْرَانِـها وَأَصْحابِـها وَسَائِرِ الدَّجَاجِ الَّذِي يَقْطُنُ الـمَزْرَعَةَ الَّتِي تَـحَوَّلَتْ فَجْأَةً وَبِلَحَظَاتٍ إِلى أَشْلاءَ [2] ..

اكْتَشَفَتْ بَعْضُ أُسَرِ الدَّجَاجِ أَنَّـها فَقَدَتْ عَزِيزاً مِنْ أَفرادِها وَخَاصَّةً مِنَ الصِّغارِ ، حَـمَلَتْهُمُ الرِّيْحُ إِلى الـمَجْهُولِ ..

صَارَ الـجَمِيعُ يَعْدُو [3] فِي كُلِّ اتِّـجاهٍ بَحْثاً عَنْ مَفْقُودِيْنَ ، أَوْ يَـتْبَعُ أَصْواتاً هُنا أَوْ هُناكَ ، مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، فَوْقَ شَجَرَةٍ أَوْ

(1) ثَارَ وَهَاجَ . (2) قِطَعٌ مُبَعْثَرَةٌ . (3) يَرْكُضُ .

تَـحْتَ الرِّمَالِ ، وَيَعُودُ البَعْضُ حَامِلاً عَلَى ظَهْرِهِ دَجَاجَةً صَغِيرَةً مَنْهُوكَةً [1] أَوْ كَتْكُوتاً جَرِيـحاً ..

وَكَانَ الـجَمِيعُ يَعْمَلُ لإِنْقَاذِ مَنْ يُمْكِنُ إِنْقَاذُهُ وَإِسْعَافُهُ .

مَضَتْ سَاعَاتٌ وَالوَضْعُ عَلَى هَذِهِ الـحَالُ حَتَّى غَرَبَتْ شَمْسُ ذَلِكَ النَّهارِ.. وَاشْتَدَّ ظَلامُ اللَّيْلِ ، وَاضْطُرَّ الدَّجَاجُ [1] لِلسُّكُونِ وَالرُّقادِ [2] ، بَعْدَ أَنْ أَضْنَاهُ التَّعَبُ [3] وَأَضْمَرَهُ [4] الـجُوعُ ..

فِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي اسْتَـيْقَظَ الدَّجَاجُ عَلَى مُصِيبَتِـهِ .. كُلُّ شَيءٍ فِي مَزْرَعَتِهِ الـجَمِيلَةِ أُبِيدَ [5] تَـمـاماً ، وَبَعْضُ الكَتَاكِيتِ وَالدَّجَاجَاتِ الصَّغِيرَاتِ فُقِدُوا .. وَالبَعْضُ الآخَرُ أُصِيبَ بِجُروحٍ وَكُسُورٍ .. أَمَّا البَيْضُ الَّذِي كَانَ مُنْـتَشِراً فِي كُلِّ زَوايا الـمَرْجِ فَقَدْ تَـمَزَّقَتْ قُشُورُهُ الضَّعِيفَةُ وَتَـنَاثَرَ [6] مَا فِي دَاخِلِهِ مَعَ هُبُوبِ الرِّيحِ ..

(1) مُتْعَبَةً تَعَباً شَدِيداً . (2) لَـمْ يَـجِدْ مَفَرّاً . (3) النَّوْم . (4) أَضَرَّ بِهِ .
(5) أَضْعَفَهُ . (6) اخْتَفَى . (7) تَفَرَّقَ .

صَبَرَ الدَّجَاجُ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ شِدَّةٍ وَمِحْنَةٍ ، حَمِدَ رَبَّهُ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ مُصِيبَةٍ ، لأَنَّها لَمْ تَكُنْ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَرَّرَ البَدْءَ فَوْراً بِالبَحْثِ عَنْ طَعامٍ وَشَرابٍ لِيُقَوِّيَ جِسْمَهُ وَيَتَمَكَّنَ مِنَ البَحْثِ عَنْ المَفْقُودِيْنَ ..

صَارَ الدَّجَاجُ يَدُورُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَبْحَثُ عَنْ بَقَايَا طَعامٍ مَنْثُورٍ ، يَحْفِرُ الأَرْضَ بِأَظْفَارِهِ الضَّعِيفَةِ ، يَأْكُلُ بَعْضَ أَوْرَاقِ الأَشْجَارِ وَفِيْها بَقَايَا مَاءٍ .. مَعَالِمُ المَزْرَعَةِ تَغَيَّرَتْ تَماماً ، وَلَوْلا بَعْضُ أَشْجَارٍ كَبِيرَةٍ قَوِيَّةٍ صَمَدَتْ أَمَامَ العَاصِفَةِ لَظَنَّ نَفْسَهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ .. وَرَاحَ الدَّجَاجُ يَبْحَثُ عَنْ وَاحَةِ المَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَتَوَسَّطُ المَرْجَ .. لَكِنَّ الوَاحَةَ تَحَوَّلَتْ إِلى أَوْحَالٍ وَرِمَالٍ .. بَعْضُ الدَّجَاجِ كَانَ ظَامِئاً (1) إِلَى حَدِّ المَوْتِ .. خَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَرَاحَ يَشْرَبُ قُطَيْرَاتِ مَاءٍ مَمْزُوجَةٍ بِرِمَالٍ عَلَى صَفْحَةِ الوَاحَةِ ..

(1) مِنَ الظَّمَأ وَهُوَ العَطَشُ .

كَانَ مَنْظَراً مُـحْزِناً ، لَكِنَّ الدَّجَاجَ لَـمْ يَسْتَسْلِمْ ، أَسْرَعَ يَـحْفِرِ فِي الأَرْضِ قُرْبَ الوَاحَةِ ، تَـجَمَّعَ أَكْبَرُ عَدَدٍ مِنَ الدَّجَاجِ ، صَارَ يَـحْفِرُ فِي الأَرْضِ بِكُلِّ مَا تَبَقَّى لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ ، أَمَلاً بِمـاءٍ قَلِيْلٍ يَنْسَابُ عَبْرَ جِدارِ الوَاحَةِ وَقَدْ صَفَا مِنَ الرِّمَالِ إِلى حَدٍّ يُمْكِنُ شُرْبُهُ ..

وَتَـمَكَّنَ الدَّجَاجُ بَعْدَ جُهْدٍ مِنْ حَفْرِ بِئْرٍ صَغِيرَةٍ ، تَـجَمَّعَ فِيْها مَاءٌ قَلِيْلٌ ، لَكِنَّهُ كَانَ كَافِياً لِيَرْوِيَ الظَّمَأَ ، رَغْمَ تَغَيُّرِ لَوْنِ الـمَـاءِ وَطَعْمِهُ وَامْتِزَاجُهُ بِقَلِيْلٍ مِنَ الرَّمْلِ ، فَعِنْدَ العَطَشِ وَالـجُوعِ لا يَعُودُ هُناكَ مَـجالٌ لِلاخْتِيَارِ أَوْ لِلشَّكْوَى ..

فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ بَدَأَ الدَّجَاجُ يُدْرِكُ وَاقِعَهُ الـجَدِيدَ .. وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ بِناءَ مَزْرَعَتِهِ مِنْ جَدِيدٍ ، أَوِ الرَّحِيلُ إِلى مَكَانٍ آخَرَ يَكُونُ العَيْشُ مُـمْكِناً فِيْهِ .. وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ تَكْرارُ البَحْثِ عَنِ الـمَفْقُودِيْنَ ..

فَقَامَ الدَّجَاجُ مِنْ اسْتِراحَتِهِ وَانْطَلَقَ يَبْحَثُ وَيَدُورُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ..
ثُمَّ عَادَ لِيُحْصِيَ عَدَدَ الدَّجَاجِ الـمَفْقُودِ فَاكْتَشَفَ فُقْدَانَ خَـمْسَةِ
كَتاكِيتَ وَثَلاثَ دَجَاجَاتٍ صَغِيراتٍ .. وَبَعْدَ بَحْثٍ مُتَواصِلٍ
طَوالَ اليَوم .. يَئِسَ الدَّجَاجُ وَقَرَّرَ وَقْفَ البَحْثِ مُتَمَنِّياً أَنْ تَكُونَ
الرِّيْحُ قَدْ حَـمَلَتِ الـمَفْقُودِيْنَ وَخَاصَّةً الكَتاكِيتُ الصِّغَارُ إِلى
مَكَانٍ آمِنٍ لا يَتَعَرَّضُونَ فِيْهِ لِلأَخْطَارِ ، وَأَنْ لا يَكُونَ أَيُّ سُوءٍ
لَـحِقَ بِـهِمْ ..

فِي هَذَا الوَقْتِ اجْتَمَعَ كِبَارُ السِّنِّ مِنَ الدَّجَاجِ لِبَحْثِ الوَضْعِ الـجَدِيدِ ... وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ البَعْضَ سَيَقْتَرِحُ مُغَادَرَةَ الـمَكَانِ لأَنَّهُ لَـمْ يَعُدْ صَالِـحاً للسَّكَنِ .. لَكِنَّ الأَصْوَاتَ ارْتَفَعَتْ مُؤَكِّدَةً الرَّغْبَةَ فِي البَقَاءِ فِي الـمَكَانِ مَهْمـا كَانَتِ الظُّرُوفُ وَإِعَادَةِ البُسْتَانِ إِلى سَابِقِ عَهْدِهِ .. «لَكِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ بِـهَذِهِ البَسَاطَةِ وَالسُّهُولَةِ» .. قَالَتْ دَجَاجَةٌ حَكِيمَةٌ ..

«الأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلى سَنَواتٍ طَوِيلَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لا نَسْتَطِيعُ مُغَادَرَةَ بُسْتانِنَا الَّذِي أَصْبَحَ اليَوْمَ ذِكرَى جَمِيلَةً» .. قَالَتْ دَجَاجَةٌ حَكِيمَةٌ أُخْرَى .. الدَّجَاجُ أَصَرَّ عَلَى البَقَاءِ وَعَدَم نُكْرانِ جَمِيلِ هَذا المَكَانِ، وَأَعْلَنَ الرَّغْبَةَ بِإِعَادَتِه كَما كَانَ في المَاضِي وَأَفْضَلَ، لأَنَّهُ «حَقٌّ مِنْ حُقُوقِه .. أَخَذْنَاهُ مَرْجاً أَخْضَرَ وَزُهوراً مُلَوَّنَةً عَطِرةً .. فَكَيْفَ نَتْرُكُهُ خَرَاباً نَكِرَةً؟»..

وَكَانَ الرَّأْيُ الوَحِيدُ البَقَاءَ في الـمَكَانِ وَإِعَادَتِه جَـمِيلاً كَمـا كَانَ .. نَظَرَ الـجَمِيعُ إِلَى كَبِيرِ الدَّجَاجِ .. الدِّيكُ الـمُمَيَّزُ بِلَوْنِهِ الأَحْـمَرِ وَعَرْفِهِ الضَّخْمِ .. أَكْبَرُ الدَّجَاجِ سِنّاً وَمَكَانَةً .. صَاحِبُ الكَلِمَةِ النِّهائِيَّةِ ... الَّذِي ظَلَّ طَوالَ الوَقْتِ مُتَأَمِّلاً .. نَظَرَ الدِّيكُ العَجُوزُ إِلَى الدَّجَاجِ ، وَرَاحَ يَنْقُلُ بَصَرَهُ في أَرْجَاءِ الـمَكَانِ الـخَرِبِ .. ثُمَّ قَالَ بِصَوتٍ هَادِئٍ فِيْهِ قُوَّةٌ وَثِقَةٌ وَإِيْمـانٌ : كُنْتُ وَاثِقاً أَنَّكُمْ لَنْ تَطْلُبوا مُغادَرَةَ الـمَكَانِ ..

فَالْـمَوْتُ مَعَ العَاصِفَةِ أَهْوَنُ عِنْدِي مِنْ مُغادَرةِ البُسْتَانِ الَّذِي قَضَيْتُ حَياتِي فِيْهِ .. سَعِيدٌ أَنا بِقَرَارِكُمْ .. وَلْنَبْدَأ العَمَلَ مِنْ هَذِهِ اللَّحْظَةِ بِالعَمَلِ .. فَرِحَ الدَّجَاجُ جَمِيعاً بِهَذا القَرَارِ السَّدِيدِ ..

وَقَامَ فَوْراً بِتَنْظِيمِ العَمَلِ وَتَوْزِيعِهِ فِيْمـا بَيْنَهُ ..

كَانَ بَعْضُهُ خَبِيراً بِهَنْدَسَةِ البُيوتِ ، وَالبَعْضُ الآخَرُ بِالزِّراعَةِ ، وَالصِّنَاعَةِ ، وَالتَّربِيَةِ ، وَإِعْدَادِ الطَّعَامِ ...

كَانَ الـمَـاءُ الـخَاصُّ بِالشُّرْبِ أَكْبَرُ مُشْكِلَةٍ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَـجِدَ حَلاً سَرِيعاً لَـهَا ، فَالتَّجْرِبَةُ جَدِيدَةٌ وَصَعْبَةٌ ، وَلَـمْ يَمُرَّ بِمِثْلِهَا مِنْ قَبْلُ .

انْشَغَلَ الدَّجَاجُ بِالعَمَلِ ، يُرِيدُ أَنْ يَنْتَهِيَ بِأَسْرَعِ وَقْتٍ وَبِأَفْضَلَ مَا يَسْتَطِيعُ إِنْجازَهُ.. فَوَجَدَ أَنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ البَدْءَ بِإِعْدَادِ البُيوتِ ، وَرَأَى أَنْ يُعِيدَ بِناءَ مَزْرَعَتَهُ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ تَـنْظِيمـاً مِنَ السَّابِقِ ، وَأَنْ يَعْمَلَ الـجَمِيعُ ضِمْنَ فَرِيقٍ وَاحِدٍ وَيَتِمَّ التَّـنْفِيذُ بَـيْتاً بَـيْتاً..

وَأَنْ يَبْنِيَ البُيوتَ بِطَرِيقَةٍ قَوِيَّةٍ صَلْبَةٍ ، حِمـايَةً لَهُ مِنْ أَيِّ خَطَرٍ مِثْلَ الَّذِي حَدَثَ ...

بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، وَفِيمـا الدَّجَاج مُنْهَمِكٌ بِالعَمَلِ ..

صَاحَ دِيكٌ يَافِعٌ بِأَعْلَى صَوْتِهِ صَيْحَةَ تَـحْذِيرٍ مِنْ عَدُوٍّ قَادِمٍ لَـمْ يَأْلَفْهُ الدَّجَاجُ مِنْ قَبْلُ ..

مَـجْمُوعَةَ سِبَاعٍ تَصْعَدُ الرَّبْوَةَ وَمِنْ عُيونِـها يَتَصَاعَدُ الشَّرَرُ.

بَدَأَ الدَّجَاجُ يَقْفِزُ فِي كُلِّ اتِّـجاهٍ ، سَاعَدَتْهُ أَجْنِحَتُهُ بِالْقَفْزِ وَالطَّيَرانِ قَلِيلاً مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ لِيَصِلَ إِلى أَغْصَانِ الشَّجَرِ الَّتِي تَنْتَصِبُ بِقُوَّةٍ فِي أَرْجَاءِ البُسْتَانِ ، فَلَمْ يَكُنِ الدَّجَاجَ قَدِ انْتَهَى مِنْ بِنَاءِ بُيوتِهِ بَعْدُ ..

وَتَـمَكَّنَ الدَّجَاجُ مِنَ الوُصُولِ إِلى أَعَالِي الشَّجَرِ قَبْلَ وُصولِ السِّباعِ ..

الَّتِي بَدَأَتْ تَزْأَرُ مِنْ شِدَّةِ الـجُوعِ بَعْدَ أَنْ رَأَتِ الدَّجَاجَ الطَّيِّبَ اللَّذِيذَ بَعِيداً عَنْ مُـتَناوَلِـهَا ... فَأُصِيبَتْ بِالـجُنونِ وَحَاوَلَتْ تَـسَلُّقَ الأَشْجَارِ لَكِنْ هَيْهَاتَ لِلسِّباعِ أَنْ تَـتَسَلَّقَ الأَشْجَارَ ..

السِّـبَاعُ الَّتِي جَاءَتْ إِلى الـمَكَانِ أَصَابَـها مِنَ العَاصِفَةِ مِثْلَ مَا أَصَابَ الدَّجَاجَ .. فَغَادَرَتْ مَوْطِنَها بَحْثاً عَنْ طَعامٍ .. وَقَضَتْ فَتْرَةً طَوِيلَةً دُونَ أَنْ تَأْكُلَ مَا يَسُدُّ جُوعَها وَتَشْرَبَ مَا يَرْوِي عَطَشَها .. حَتَّى وَصَلَتْ إِلى الرَّبْوَةِ وَرَأَتْ كُلَّ هَذَا الدَّجَاجَ .. لَكِنَّ سُرْعَةَ الدَّجَاجِ وَتَـنَبُّهِهِ وَتَـسَلُّقِهِ أَعَالِي الشَّجَرِ بِسُرْعَةٍ كَانَ مُنْـقِذاً لَهُ مِنْ بَرَاثِنِ [1] السِّباعِ ..

انْـتَظَرَتِ السِّـبَاعُ طَوِيلاً .. رُبَّمـا تَقَعُ دَجَاجَةٌ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ يَـحْدُثُ شَيْءٌ مَا .. الدَّجَاجُ جَاعَ هُوَ أَيْضاً ، وَرَاحَ يَأْكُلُ عُروقَ الأَغْصَانِ الـخَضْرَاءِ ..

(1) أَظْفَارِ .

قَدْ لا يَكُونُ طَعامَاً لَذِيذاً وَلا يُشْبِهُ طَعْمَ الـحِنْطَةِ .. لَكِنَّهُ يَسُدُّ الـجُوعِ وَيُـخَفِّفُ العَطَشَ ..

أَدْرَكَتِ الذِّئابُ أَلا أَمَلَ مِنْ بَقائِهَا ، وَأَنَّـها سَتَمُوتُ مِنَ الـجُوعِ لَوْ طَالَ انْتِظارُها .. عِنْدَها قَرَّرَتِ الـمُغَادَرَةَ بَحْثاً عَنْ فَرائِسَ [1] أُخْرَى...

انْـتَظَرَ الدَّجَاجُ وَقْتاً طَوِيلاً حَتَّى تَأَكَّدَ مِنْ مُغَادَرَةِ السِّبَاعِ الـمَنْطِقَةَ بِكامِلِهَا.. وَرَاقَبَ السِّباعَ بَعْدَما هَبَطَتْ مِنَ الرَّبْوَةِ إِلى الوَادِي وَعَادَتْ وَتَسَلَّقَتِ الـجِبَالَ الـمُحِيطَةَ حَتَّى اخْتَفَتْ خَلْفَهَا .. فَاطْمَأَنَّتْ وَنَـزَلَتْ مِنَ الأَشْجَارِ ..

أُصِيبَ الدَّجَاجُ بِصَدْمَةٍ شَدِيدَةٍ .. هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ يُشاهِدُ فِيْها مِثْلَ هَذِهِ الـحَيَوانَاتِ الـمُفْتَرِسَةِ ..

(1) جَـمْعُ فَرِيسَةٍ وَهِي صَيْدُ السِّباعِ .

قَرَّرَ الدَّجَاجِ بَعْدَ تَشَاوُرٍ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مُراقَبَةً دَائِمَةً بِالتَّنَاوُب عَلَى زَوَايَا الرَّبْوَةِ ، وَفِي جَمِيعِ اتَّجاهَاتِها لِتَرْقُبَ وُصُولَ أَيِّ خَطَرٍ ..

خَوْفاً مِنْ تَجْرِبَةٍ مُماثِلَةٍ ، وَرُبَّما لا يَسْتَطِيعُ عِنْدَها أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ كَما حَدَثَ هَذِهِ المَرَّةِ ..

وَقَرَّرَ الدَّجَاجُ أَيْضاً أَنْ يُعِدَّ لِنَفْسِهِ بُيوتاً أَصْلَبَ وَأَقْوَى ، كَما تَقِيْهِ مِنْ خَطَرِ العَواصِفِ فَإِنَّها تَقِيْهِ مِنْ خَطَرِ الوُحوشِ ...

وَطَلَبَ كَبِيرُ الدَّجَاجِ مِنَ المُهَنْدِسِيْنَ أَنْ يُفَكِّرُوا بِطَرِيْقَةٍ تَجْعَلُ عَمَلِيَّةَ تَسَلُّقِ الأَشْجَارِ سَرِيعَةٍ وَسَهْلَةٍ وَخَاصَّةً لِصِغَارِ السِّنِّ حِمَايَةً لَهُمْ مِنَ الخَطَرِ..

بِانْتَظَارِ الانْتِهَاءِ مِنْ بِنَاءِ البُيوْتِ وَالمَلاجِئِ وَتَجْهِيزُهَا .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ مِنْ عَمَلٍ مُسْتَمِرٍّ دَؤُوبٍ[1] ..

(1) فِيْهِ جِدٌّ وَتَعَبٌ .

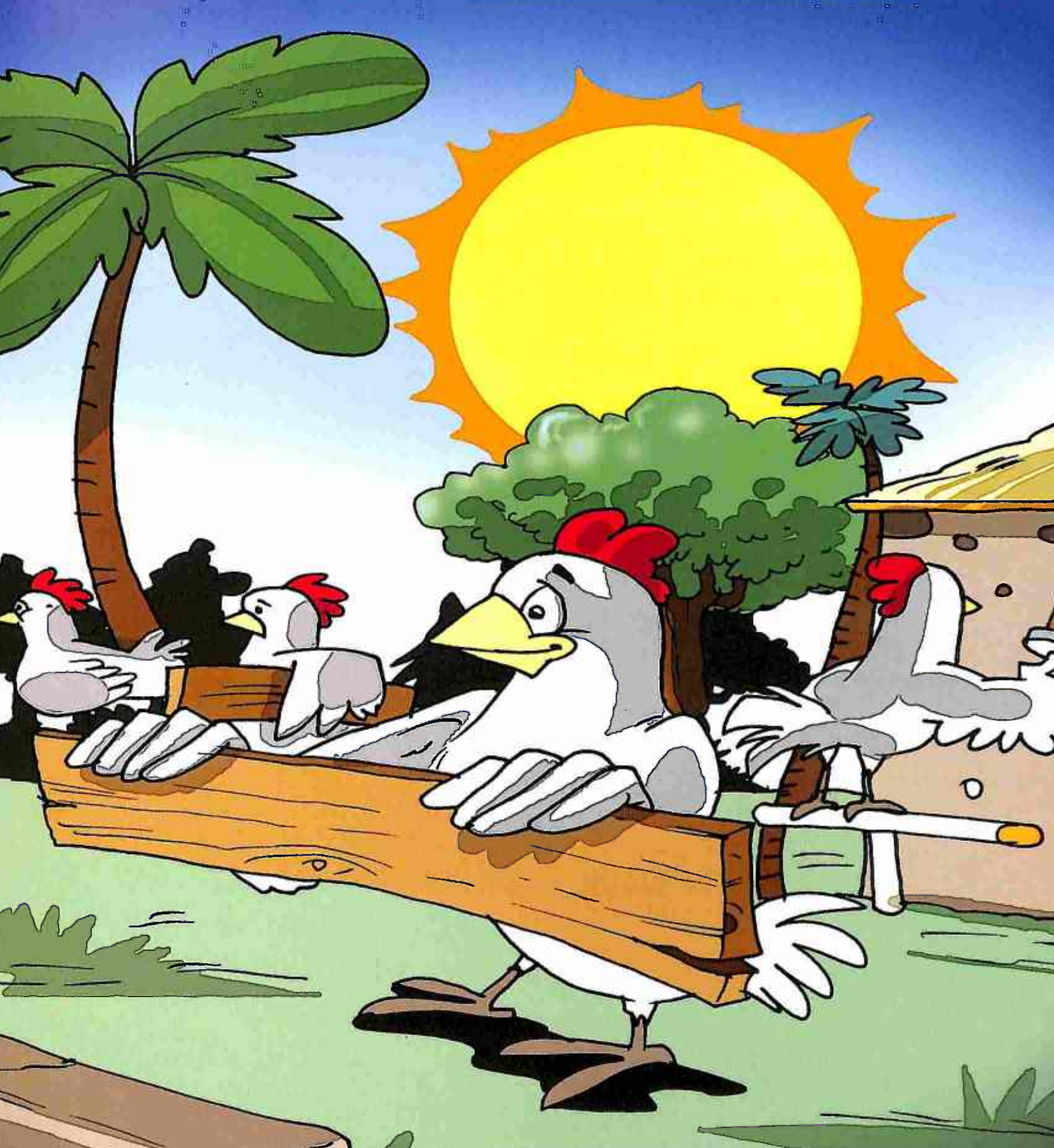

أَنْـهَى الدَّجَاجُ عَمَلَهُ في بِنَاءِ البُـيُوتِ القَوِيَّةِ والـملاجِئِ الآمِنَةِ ، وَكَانَتْ أَجْـمَلَ مِنْ بُيُوتِهِ القَدِيمَةِ وَأَكْثَرُ تَنْظِيمـاً وَصَلابَةً وَاتِّساعاً .. وَبَنَى سُوراً صَخْرِياً عَالِياً ، وَأَبْراجِ مُراقَبَةٍ تُطِلُّ عَلَى كُلِّ طُرُقِ الرَّبْوَةِ وَجَنَـبَاتِـها .. وَزَرَعَ في أَرْضِهِ الـخَصْبَةِ أَطْيَبَ أَنْواعِ الـمَزْرُوعَاتِ الـمُحَبَّبَةِ لِلدَّجاجِ ... وَحَفَرَ بِئْراً كَبِيرَةً صَنَعَ لـهَا غِطاءً مِنْ غُصُونِ الشَّجَرِ حِـمـايَةً لـهَا مِنْ رِمَالِ العَواصِفِ .. وَتَـحَسُّباً مِنْ أَنْ يَسْقُطَ دَاخِلَ البِئْرِ كَتْكُوتٌ أَوْ دَجَاجَةٌ صَغِيرَةٌ .. وَبَـنَى سُوْراً عَالِياً يَـحْمِي مَزْرُوعَاتِهِ وَأَرْضِهِ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .. عَاشَ الدَّجَاجُ بَعْدَهَا في رَبْوَتِهِ الآمِنَةِ .. مَرَّتْ عَلَيْهِ فَتَراتُ أَمْنٍ وَفَتَراتُ شِدَّةٍ .. لَـمْ تَـتَمَكَّنْ رِيَاحٌ بَعْدَهَا مِنْ قَلْعِ بُيُوتِهِ وَلا طَمْرِ مِيَاهِهِ ، وَلا تَدْمِيرِ زَرْعِهِ .. وَلَـمْ تَـجْرُؤ السِّباعُ عَلَى الاقْتِرَابِ مِنَ الرَّبْوَةِ الَّتِي تَـحَوَّلَتْ إِلى قَلْعَةٍ حَصِينَةٍ ..

*****